خالد احمد اسماعيل الاكوع

اثر الاسلام في التوحيد اللغوي

3241هجري

لغويات

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٤٤٢٠
٠٠٥٠٠٦

أثر الإسلام في التوحيد اللغوي

رسالة مقدمة لتكملة متطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها
تخصص لغويات

إعداد
الطالب / خالد بن أحمد إسماعيل الأكوع
الرقم الجامعي (٤١٩٨٤٥٣٦)

إشراف
د/ عليان بن محمد الحازمي

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال عظمته وعظيم سلطانه حمداً كالذي نقول وخيراً مما نقول ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أمّا بعد :

فهذه دراسة لغوية عن « أثر الإسلام في التوحيد اللغوي » نقدّمها ، لنكشف فيها عن سرّ من أسرار عظمة اللّغة العربية وهو عن وحدتها المكانية والزمانية .

فقد رأيتنا معشرَ العرب – واللّغاتُ من حولنا تتبلبل وتختلف ، والشعوب تتناكر أجيالها عبر عصورها وتتقطع ما بينها من أواصر لغوية – ونحن باقون على البيان تجمعنا لغة واحدة بالرغم من كلّ العقبات الجغرافية والحدود السياسية التي تفصل بيننا ، وتربطنا مع أجدادنا منذُ مئات السنين لغة واحدة لم يعترها تغير يُذكر أو اختلاف يؤثر ، فما زلنا نقرأ القرآن الذي نزل منذُ أربعة عشر قرناً وكأنه نزل فينا بالأمسِ القريب ، ونقرأ ما ألّفه أجدادنا في القرن الثاني الهجري في شتى المجالات وأنواع العلوم فنعيه ونفهمه .

وقد نظرت إلى واقعنا اللّغوي في الجزيرة العربية قبل الإسلام فوجدتها مسرحاً للغات مختلفات منها ما باد وانقرض ، ومنها ما انقسم واختلف ، فبين عربية للجنوب وأخرى للشمال ، وبين عربية بائدة وأخرى باقية انقسمت إلى عدّة لهجات تتفاوت درجة اختلافها فيما بينها حسب قربها وبعدها عن بعضها ومدى اتصالها ، ويزداد الاختلاف بين العدنانيين والقحطانيين ، ويقل فيما بين العدنانيين، ولكنه بدرجة أصبح فيها لكلِّ قبيلة منها – تقريباً – لغةٌ خاصة تتميز بها وتختلف فيها مع غيرها . وهنا وقفت مع نفسي وقفة تأمّل وطرحت عليها بعض الأسئلة ، وهي :

١ – ما هي أسباب الوحدة اللّغوية في الوطن العربي ؟ وكيف حدثت ومتى ؟

٢ – لِمَ لم تنقسم اللّغــة العربية خلال كلّ هــذه العصور إلى لغات مستقلــة كمــا انقسمت غيرها من اللّغات ؟

٣ – لِمَ لم تنقرض اللّغة العربية الفصحى كما انقرضت اللّغات العربية قبلها ؟

٤ – كيف انتشرت اللّغة العربية في مناطـق لغويـة مختلفة فأصبحت لغـة قوميـة لأهلهـا ؟

٥ – أين تلـك اللّغات العربيـة التي نزل بها القرآن على سبعـة أحرف مراعـاةً لاختلاف الألسنة ؟

٦ – كيف أصبحت الفروق بين جميع اللهجات العربيـة فـي القرن الثالث والرابـع يسيرة محتقرة وفي شيء من الفروع ، أما الأصول فواحدة ؟

كلّ هذه الأسئلة وغيرها لم أجد لها جوابًا شافيًا ، وللأسف لم أجد البحوثَ والدراساتِ التي تجيب عنـها ، وقد كانت ندرةُ المصادر والمراجع عن هذا الموضوع من أشد الصعوبات التي واجهتني في دراستي ، إلا أنها –ولله الحمد– حفّزتني على المضيّ والاعتماد على الله ثم على نفسي في استنباط أدلة دراستي وأمثلتها وجمع مادتها العلمية عن الصحيح الثابت ، وقد استغرق ذلك من جهدي ووقتي ما لا استكثره أو أَمُـنُّ به فهو جهد يسير لما لأمتي ولغتي عليّ من حقوق وواجبات .

وتتلخص محاور دراستي لـ « أثر الإسلام في التوحيد اللّغوي » فيمايلي:

أن الخـلافَ بين اللـهجـات الـعربيـة قبل الإسـلام كـان واسـعًا وقد بلغت أوجـه الخلاف بينها جميع مظاهر اللّغة (الصوتية – الصرفية – النحوية – الدلالية) مما يؤهلها للانقسام مع مرور الزمن ، لسعة بلادها وكثرة المتحدثين بها مع اتساع فجوة الخلاف بين لغاتهم ، والانقسام في هذه الحالة سنّةٌ في جميع اللّغات .

ثم حدثت قبيل الإسلام عواملُ أدت إلى التقارب اللّغوي وتكوُّن لغة مشتركة يتم عن طريقها التفاهم والاتصال ، من أهمـها : (الحج ، الأسواق، الهجرات البينيّة ، الحروب، عمل الشعراء والخطباء خاصة شعراء الحوليات) ولكن هذه العوامل لم تكن كافية لتوحيداللّغة بين جميع العرب ومنع انقسامها، حيث كانت على المستوى الخاص وليس العام لاختلاف العرب في اللّغة المشتركة ثراءًا وفقرًا ، والقدرة على إجادتها تكاد تنحصر على أولئك الذين حازوا قدرًا وافرًا من الثقافة اللّغوية ، أمّا العامة وأكثرهم من الشيوخ والنساء والأطفال فمعظمهم لا يقدر على التحول عن لغته .

الخاصة ولو كان العرب على مستوى لغوي واحد ما نزل القرآن على سبعة أحرف مراعاةً لهم وتيسيراً لعامتهم .

وعند مجيء الإسلام عمل على توحيد اللّغة العربية وتعميمها على جميع مستويات العرب (خاصة وعامة) بل نشرها بين غير أهلها ووحَّد بها اللغات المختلفة من حولهم في صورة هي أسمى درجات التوحيد والتأثير اللغوي التي عرفتها اللغاتُ الإنسانية ، وقد جاء عمله بطريقة مباشرة وغير مباشرة وبشكل متدرّج على النحو الآتي :

١ - نزول القرآن على سبعةِ أحرف من باب التيسير والتدرج في التوحيد اللغوي .

٢ - معسكرات الجهاد وإذابة الفروق اللغوية ومزج اللهجات العربية مما أسهم في إنشاء لسان مشترك وتعميمه .

٣ - جمع عثمان - رضي الله عنه - الناسَ على مصحف واحد (القرشي) وحرقه سائر المصاحف ذات الحروف المختلفة ، وانعكاس توحيد المصاحف على اللّغة بالتُّوحد .

٤ - قيام علماءِ الإسلام بجمع اللّغة وتقعيدها - بدافع ديني - على أساس اللّغة الأدبية التي نزل بها القرآن مما أسهم في توحيد اللّغة وتعميم اللّغة الأدبية لا سيما عندما تشددوا في لغة القرآن وعمدوا إلى إماتة اللهجات الخاصة .

وقد حثّ العلماءَ على جمع اللّغة وتقعيدها دافع ديني له أسباب وزعنا عرضها على جمع اللّغة وتقعيدها على النحو التالي :

أ - جمع اللّغة العربية :

١ - لمعرفة معنى لفظ غريب جاء في القرآن والحديث والاستعانة بها على فهم النصوص الشرعية .

٢ - إثبات أن القرآن نزل وفق سنن العرب في كلامها وحرصهم على إثبات ذلك . (الاحتجاج على لغة القرآن) وبعكسه كان (الاحتجاج بالقرآن) وهو الذي أسهم في توحيد اللّغة .

ب - ضبط اللّغة وتقعيدها :

١ - لتعليم العربية للمسلمين من غير العرب (تعليمي) .

٢ - الحفاظ على العربية ودفع اللحن .

وقد ساعد على جمع اللّغة وتقعيدها إسهام الفكر الإسلامي في ظهور المصطلح والقياس في العربية والعمل به كدليل علمي، كما أسهم القياس المطَّرِد في خلودها .

٥ - العامل الاجتماعي : وهو نفس العامل الذي أدى إلى التقارب اللّغوي قبل الإسلام ، إلا أنه ازداد استحكامًا واتسع آثارًا بعد الإسلام ، وهو من الأسباب غير المباشرة ولكنَّه اشتق أنظمته من الإسلام وعمل على ترجيحه فحسبناه عليه .

٦ - التسامي إلى المثل الأعلى والنموذج الموّحد: وذلك عندما قدّم القرآن المثل الأعلى للّغةالعربية الموحدة فكان محوراًالتفَّت حول لغته العرب والعلماء واتخذوها مثلاً أعلى تقيس العرب عليها فصاحتها وتحاكي اختياراتها وتهجر من لغاتها ما خالفها ، والعلماء تتخذها معياراً تحكمُ به وتحتكمُ إليه فكان الحَكَمَ على صحة القاعدة وسلامة الاستخدام اللّغوي ، وفصاحة القول ، يحتجُّون به ويستدلُّون بآياته ، فأسهم هذا التوجه من قبل العرب والعلماء في حدوث وحدتنااللّغوية وذلك حين اتخذوه مثلاً أعلى.

٧ - الوحدة السياسية تبعتها وحدة لغوية : أصبحت العربية لسان الحكم والسياسة وانتشرت بانتشار الفتح العربي الإسلامي ، فواكبته مسيرته وسارت على خطاه فتعربت بها الألسنة في بعض البلاد وتأثرت بها لغاتٌ أخرى . وهو أيضًا من العوامل غير المباشرة ولكنه مرتبطٌ بالدين ومحمول عليه .

وقد أعقبنا هذه الأسباب بمظاهر الوحدة اللغوية بعد الإسلام وهي تمثل أدلتها.

منهج البحث :

١ - اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي .

٢ - تتبعنا آثار الإسلام في التوحيد اللغوي المباشرة وغير المباشرة . ونقصد بغير المباشرة تلك الأعمال التي قام بها الخلفاء والعلماء بدافع ديني ، وهدفت إلى خدمة الإسلام والحفاظ على العربية فنجم عنها وحدة لغوية وأسهمت في حدوثها ، ويدخل في ذلك العوامل السياسية والاجتماعية التي اشتقت أنظمتها من الإسلام .

٣ - لما كان موضوع الدراسة واسعًا ومكوناتُها متشعبةً وطويلةً بحيثُ يحتاج الباحث في استقصاء جميع عناصرها إلى تضمين دراسته عدّة كتب ومجلدات ، وهو مع ذلك لا يأمن الخروج عن هدف دراسته وتفريغها من مضمونها بإعادة ما استقصى درسه في بحوث سابقة والانشغال بها عن هدفه ، وعليه فقد آثرنا الوقوف على البداياتِ وأسبابِ النشأة لإظهار أثر الإسلام فيها ، ودراسة مراحلها من هذا المنطلق ثم أحلنا القارئ إلى مظانها التي استقصت درسها بعد إيقافه على أهدافها العامة ودراستنا لها .

٤ - عرضنا المعلومات عن بعض المواضيع منجّمةً ، وتطرقنا لها في أكثر من موضع مع حرصنا على إضافة معنىً آخر وتناولها من جانب جديد ، وذلك حين اقتضى المقام الرجوع إليها ، فآثرنا هذا الأسلوب على الإعادة والتكرار خشية الملل والسَّأم ، من ذلك مثلاً : الاحتجاج بلغة القرآن والتسامي إلى المثل الأعلى درسناهما في الباب الثالث في أكثر من موضع ، أحدها في السبب الرابع والآخر في السادس، وقد نكرر بعض الأمثلة في أكثر من موضع متى وجدنا ذلك أنسب في بيانها وأقوى في دلالتها .

٥ - آثرنا عدم تبنّي أي نظريةٍ في نشأة اللّغة حتى نتمكن من تفسير ظواهرها وأسباب اختلافها بموضوعية وحياد ، دون أن نتأثر بتلك النظرية في اتخاذ أحكام مسبقة أو نعمد إلى لَـيِّ النصوص والروايات وتجاهل الحقائق الثابتة حتى لا تتعارض معها أو تخالف ما قررناه مسبقًا .

وفي المقابل احتفظنا لأنفسنا بحق الاعتراض على الخطأ ومناقشته ، لأن هدف الدراسة الوصول إلى العلم والحقيقة أينما كانت ، وليس من هدفها نصرة مذهب على آخر والدخول في جدل عقيم .

٦ - اعتمدت الدراسة في إثبات أثر الإسلام في التوحيد اللّغوي على الموضوعية وتقديم الدليل العلمي في مجال اللّغة والنحو ، ونأت عن تحريك المشاعر الدينية للمسلمين في إثبات وتقرير حقائقها ؛ لأن الباحث جعل نصب عينيه مخاطبة غير المسلمين والمنكرين إن وجدوا . وهذا لا يعني أننا لم نعتمد على القرآن في إثبات

بعض الأمور فهو حقيقة علمية مطلقة ، وإنما يعني الاعتماد على المادة العلمية وما أقرّ به غير المسلمين من الغرب والعرب عن أثر الإسلام في التوحيد اللّغوي .

٧ - لم ألتزم - في الغالب - الترجمة المطولة للأعلام الذين ذكرتهم واكتفيت بذكر الإسم واللّقب وسنة الوفاة ، لأن أكثر من ذكرتهم من القدماء والمؤسسين لعلومهم ولا تخفى على متعلق بمثل هذه العلوم سيرتهم ، وكان من الإسهاب ذكرها ومما يطول به بحثنا ، إلا أنني التزمت الإشارة إلى مكانتهم الدينية وأعمالهم إذا كانوا من القرّاء والفقهاء وذلك في متن الدراسة .

٨ - كانت معظم النصوص الشعرية التي وردت في دراستي مضمّنةً في قصة أو مسألة نحوية نقلتها عن كتب ومصادر أمهات خضعت من قبل العلماء للتحقيق والتدقيق والتخريج ، فرأيت أن من ضياع الجهد تخريجها ، ولهذا اكتفيت بذكر مصدرها .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكوّن مما يلي :

١ - المقدمة .

٢ - مدخل تمهيدي ، يشمل :

- تعريف اللّغة ودرجاتها .
- حول نشأة اللّغة الإنسانية والعربية .
- في تاريخ نشأة اللّغة العربية .
- العربية الجنوبية والعربية الشمالية .
- انقراض اللهجات اليمنية القديمة وحلول الفصحى مكانها .
- العربية الشمالية (بائدة وباقية) .
- أسباب اختلاف لغات العرب .

٣ - الباب الأوّل : (مظاهر الاختلاف اللّغوي) ذكرنا فيه :

حالة اللّغة العربية قبل الإسلام وتأهلها للانقسام ، ثم تناول :

الفصل الثاني : مظاهر الوحدة اللغوية بعد الإسلام :

١ - المظهر الصوتي من خلال وحدة التلاوة (التجويد) ، وأثره في خلود أصوات العربية .

٢ - تعميم بعض الظواهر والخصائص اللهجية .

٣ - لغة الكتابـة .

٤ - الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات .

٥ - فهرس المصادر والمراجع .

٦ - فهرس الموضوعات .

« أثر الإسلام في التوحيد اللغوي في اللغة العربية »

ملخص الدراسة

تكونت هذه الدراسة من مدخل وثلاثة أبواب :

المدخل فيه :

– معنى اللغة ودرجاتها ، والنظريات حول نشأتها وأثر النظرة إلى أصل اللغة في تفسير ظواهرها وأسباب اختلافها .

– الكشف عن سنّة التغير والانقسام في اللغات الإنسانية ، والتعرّف على العوامل المؤثرة في حدوثها وذلك من خلال دراسة الواقع اللغوي في الجزيرة العربية التي كانت تضم عدة لغات عربية ؛ منها ما باد وانقرض ومنها ما تغيَّر وانقسم ، فبين عربية شمالية وأخرى جنوبية خلَّفت كلٌّ منهما عدة لغات مختلفة .

– التعرف على أسباب اختلاف لغات العرب قبل الإسلام ، وهي أسباب مباشرة وطأت لها أسباب غير مباشرة ؛ منها انتشار العربية في مناطق جغرافية واسعة ، وكثرة المتحدثين بها ، وطول العهد بزمانها ، فظهرت الأسباب المباشرة وهي ظاهرة الخفّة والثقل ، والقياس المستقل ، والاحتكاك اللغوي الخارجي ، والعامل الزمني الذي سمح بحدوث النتغير والاختلاف .

الباب الأوّل : (مظاهر الاختلاف اللغوي بين اللهجات العربية قبل الإسلام) وفيه :

– دراسة مظاهر الاختلاف اللغوي الذي ظهر في جميع مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، فانقسمت العربية إلى عدّة لهجات مختلفة وكان حتمًا أن تتحول – جريًا مع سنن اللغات – إلى لغات مستقلة لسعة اختلاف وطول العهد بها .

– سعينا أثناء عرضنا لمظاهر الخلاف اللغويّ قبل الإسلام إلى ترسم أسبابها ، والوقوف على آثارها في تكوين الفصحى ، إذ أفادت الفصحى من اختلاف تلك اللهجات بعد أن توحّدت فيها وحوّلته إلى مصلحتها في تنمية ثروتها اللغوية وتكوين ظواهرها من ترادفٍ ، واشتراكٍ ، وتضادٍ ونحوه .

الباب الثاني : (أسباب الوحدة اللغوية قبل الإسلام) . وفيه :

– الكشف عن سنة التوحد والاندماج والعوامل المؤثرة في حدوثها . وهي أضعف من سابقتها ، وتكون آنية في فترة محددة ثم تفترق من جديد ، فهي تحدث في ظل سنة التغير والانقسام من الناحية الزمنية .

– حدوث بوادر الوحدة اللغوية قبل الإسلام نتيجة لتضافر عدة عوامل أدت إلى التقارب اللغوي بين اللهجات العربية ، وتتمثل تلك العوامل في الحجّ ، الهجرات البينية ، أسواق العرب ، الحروب ، عمل الشعراء والخطباء .

– تتمثل مظاهر الوحدة اللغوية قبل الإسلام في اللغة الأدبية .

الباب الثالث : (أسباب الوحدة اللغوية بعد الإسلام ومظاهرها) . وفيه :

– دراسة أثر الإسلام في التوحيد اللغوي ، ومعرفة أسباب الوحدة اللغوية التي كان الإسلام من ورائها بشكل مباشر وغير مباشر (أي قامت لخدمته وبسببه) .

– أثر الإسلام في التوحيد اللغوي له ثلاث صور :

١ – توحيد اللهجات العربية المختلفة وإذابة فروقها اللغوية لا سيما الشمالية والجنوبية .

٢ – توحيد معظم اللغات المختلفة من حول العرب ودحرها بعد تعرّب أهلها .

٣ – توحيد اللغة العربية عبر عصورها التاريخية (تخليدها) ، فحفظها من التغيّر والانقراض .

فهرس الموضوعات